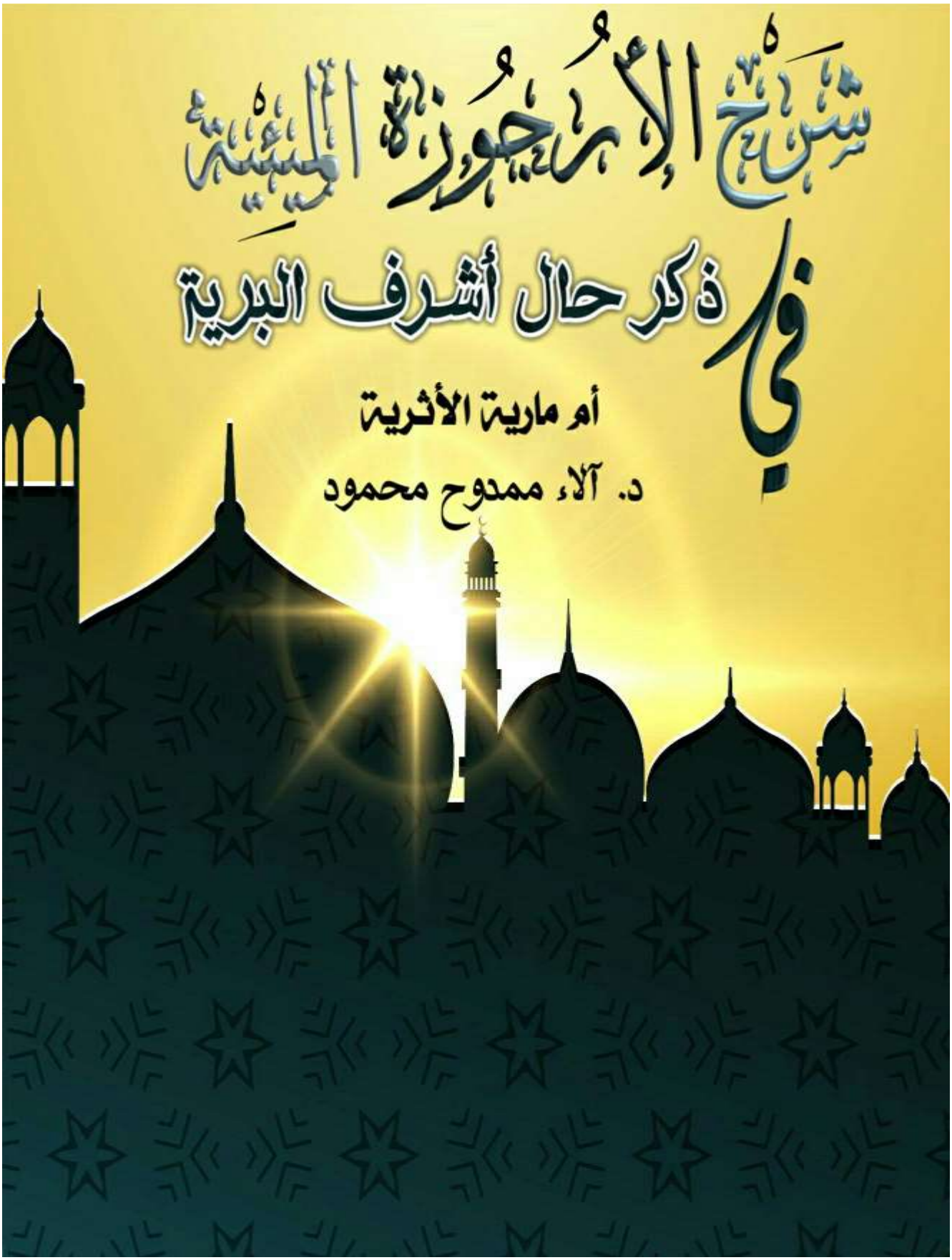
شرح الأرجوزة الميئية
في ذكر حال أشرف البرية
أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود

فصل: السنة الرابعة من الهجرة وتتضمن ضوابط

الضابط الأول: غزوة بني النضير

قال المصنف

٦٢_وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى... بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلا

"الشرح"

موعد غزوة بني النضير	في ربيع الأول في السنة الرابعة من الهجرة.
سبب الغزوة	أنَّ عمرو بن أمية الضمري قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهد من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأمان لم يعلم به عمرو، فلما رجع أخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لقد قتلت رجلين لأدِيَنَّهما" وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد، فأتاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالسًا إلى جنب جدار من بيوتهم، فمن رجل يصعد

	على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيُريحنا منه؟ فانتُدب لذلك أحدهم وهو عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليٌّ، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به.
	أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ} [الحشر: ٢] وصدق الله إذ يقول: {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر: ١٤] فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وفي ذلك يقول الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)} [الحشر: ٥] وكان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي نوفل، وسويد، وداعي، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنَّعوا فإنَّا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم.

	فانتظر بنو النضير نصر هؤلاء القوم الذي وعدوهم إياه فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وفي ذلك يقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣)} [الحشر: ١١٠ - ١٣] فطلبوا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم — بعد ست أيام من الحصار أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة فوافقهم النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – على ذلك، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فقاموا بهدم بيوتهم حتى لا ينتفع بها المسلمون وأخذوا كل ما فيها حتى أبوابها وفي ذلك يقول الله تعالى: {مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)} [الحشر: ٢]
نتيجة الغزوة	خَرَجُوا إلى خَيْبَر، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إلى الشَّام، وخلفوا ما لم يستطيعوا حمله من الأموال، فكان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، لأنهم غنموه من غير قتال وقيل أنه أسلم من بني النضير رجلان هما: ياسين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب

	ونزلت سورة الحشر في بني النضير.

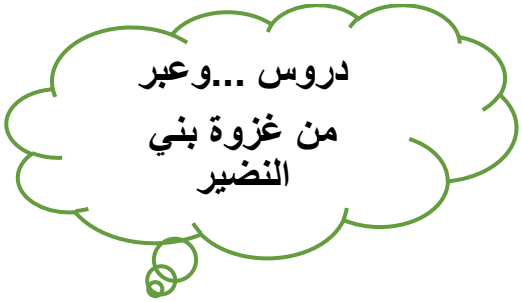

قدرة الله سبحانه وتعالى على تغيير الأحوال وتبديلها وتصريف الأمور كيف يشاء سبحانه وتعالى، فلا يقف أمام قوته وقدرته شيء. فعلى الناس أن يعلموا أن الله الذي أجلى هؤلاء وأزالهم بعد أن ظنَّ الناس أن حصونهم مانعتهم – قادرٌ على أن يزيل غيرهم من الكافرين والمتكبرين والظالمين بشرط أن يصلح الناس أحوالهم، ويُقبلوا على منهج ربهم، وينصروا دينه، فإذا حققوا ذلك فإنَّ الله سينصرهم وسيهلك عدوهم {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[الحج: ٤٠]
النصر قريب إذا سلك الناس طريقه، وطريق النصر هو اتباع شرع الله. أمَّا إذا تنكَّب الناس الطريق، وأخذوا يبحثون عن النصر والعز والتمكين في المناهج الأرضية كالديمقراطية والعلمانية والليبرالية والاشتراكية أو غيرها، فإنَّ النصر سيكون بعيدًا بل محالاً. .
إشارة للمسلمين بتجنُّب الغدر والابتعاد عن الخيانة ونقض العهد؛ حتى لا يقع لهم ما وقع لليهود، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وكذلك يبتعدوا عن الخائنين وينأوا بأنفسهم عن شرهم.
بيان حال المنافقين وكشف العلاقة الوطيدة بينهم وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، حتى إن الله سبحانه وتعالى سماهم (إخوانهم) الذين كفروا من أهل الكتاب فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الحشر: ١١].

المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، فمن غدر ومكر فإنَّ مكره سينقلب عليه في النهاية، فهؤلاء اليهود أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والقضاء عليه، فقضوا على أنفسهم وأهلكوا أنفسهم.
تربية الأفراد والأمة على أن النصر من الله ـ عز جل ـ، وربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو الله رب العالمين، وبيان أن جنود الله كثيرة لا يعلمها أحد إلا الله، قال الله تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ }(المدثر: من الآية٣١)، وقال تعالى: { فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }(الحشر:٢)
لما تم جلاء بني النضير وخلفوا وراءهم من المال والعتاد ما خلفوا . . قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين دون الأنصار ـ إلا رجلين من الأنصار فقط ـ رأى رسول الله فقرهما فاشركهما في القسم وهما سهيل بن حنيف وأبو دجانه وفي هذا التقسيم ملمح شرعي مفاده أن أموال العدو التي حصل عليها المسلمون بغير قتال وهو ما يسمى بالفئ لها حكم آخر غير حكم الغنيمة التي تأتي بعد حرب وقتال وأن الفئ فيه سعة أمام القائد في تقسيمه حسب ما يراه وحسب حاجة الجند ، مبيناً العلة في هذا التقسيم "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ":أما الغنيمة فقد تولى الله تقسيمها في : سورة الأنفال في قوله تعالى وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ((الأنفال:٤١
الرعب جند من جند الله : فالمتأمل في قصة إخراج بني النضير يلحظ أن السلاح الأقوى في هذه الواقعة إنما هو الرعب الذي ألقاه الله في قلوب اليهود. لذا يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة أسباب ولا مسببات فهو القادر على كل شيء هذه الغزوة درس عظيم للأمة تذكرهم أن نصر الله قريب، وأن طريق النصر هو الرجوع إلى الله تعالى والاعتماد عليه والتسليم لشريعته وانه تعالى لا يعجزه شئ ، والسعيد من اعتبر بغيره.

الضابط الثاني: موت زينب، والنكاح من أم سلمة وزينب بنت جحش، وغزوة بدر الموعد والأحزاب.

قال المصنف

٦٣_ وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ... وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ

٦٤_ وَبِنْتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ ... وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ

"الشرح"

وبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةْ	أي وبعد غزوة بني النضير ماتت زينب بنت خزيمة أم المساكين، وقد تزوجها النبي بضعة أشهر ثم ماتت.
وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةْ	وبعدها تزوج النبي أم سلمة وهي هند بنت أبي أمية المخزومية.
وَبِنْتِ جَحْشٍ	وتزوج النبي زينب بنت جحش وهي بنت عمة النبي. واختلف علماء السير في تاريخ الزواج منهم من رجح أنها في السنة الثالثة، ومنهم من قال في العام الخامس.
ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ	هي غزوة بدر الموعد، ويقال لها بدر الآخرة، لأنها آخر الغزوات التي يقال لها بدر. وسميت بالموعد لأنهم تواعدوا إليها بعد أحد.
وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ	وبعد غزوة بدر الموعد، وقعت غزوة الأحزاب، ويقال لها غزوة الخندق. وأكثر علماء السير وهو الراجح يقولوا أنها في العام الخامس من الهجرة خلافًا لما رجحه الناظم.

فَاسْمَعْ وَاعْدُدِ	اسمع سماع من يعي ويفهم. واعدد أي اعرف ما يتعلق بعدد الغزوات وعدد أحداث السيرة بصفة عامة.

عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: "مَا مِنْ عبد تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهمَّ أْجُرنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ الله فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"، قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أبو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ الله – – صلى الله عليه وسلم –، فَأَخْلَفَ الله لِي خَيرًا مِنْهُ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم.

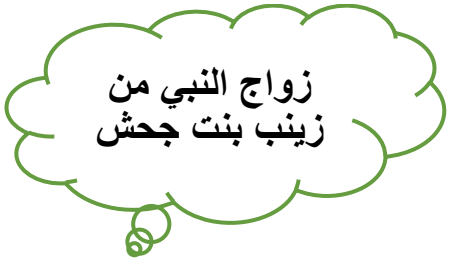

هي بنت أميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم

.– وكانت عند زيد بن حارثة – رضي الله عنه – قبل أن يتزوجها النبي – صلى الله عليه وسلم

وزيد بن حارثة بن شراحيل – رضي الله عنه – كان مولى للنبي – صلى الله عليه وسلم – أهدته إليه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين – رضي الله عنها

وكان يدعى زَيْدَ بن مُحَمَّدٍ، حيث كان قد تبناه النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان ينسب إليه، حَتَّى نَزَلَت: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب: ٥]

فبنزول هذه الآية تم تحريم التبني، وأصبح كلٌ يُنسبُ إلى أبيه الذي هو من صلبه، فأصبح يقال زيد بن حارثة

ولكن قاعدة التبني كانت متأصلة في نفوس العرب، ليس من السهل محوها، فكأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أراد حدوث شيء عملي يمحو هذا تمامًا من نفوسهم، فكان تزويج النبي – صلى الله عليه وسلم – .– من زينب بنت جحش التي كانت زوجة لزيد بن حارثة – رضي الله عنه

وقد ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ "تَخْشَاهُ} [الأحزاب: ٣٧]

عَنِ أَنَس بن مالك – رضي الله عنه – قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – لِزَيْدٍ: "اذْهَبْ فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ"، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهَا قَالَ وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قال: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيهَا؛ أَنَّ رَسُولَ الله ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنكَصْتُ عَلَى عَقِبَيَّ فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يَذْكُرُكِ، قَالَت: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فَدَخَلَ عَلَيهَا بِغَيرِ إِذْنٍ.

وليمةُ عُرس زينب – رضي الله عنها

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "مَا رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَوْلَمَ عَلَى امرأة –أو على شَيءٍ مِنْ نِسَائِهِ– مَا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ فإنه ذبح شَاةً"

في صبيحة عرس النبي نزلت آية الحجاب

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}الأحزاب

فضلها

عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقة قالت: وكانت زينب امرأة صناعة اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله عز وجل))

تفاصيل غزوة بدر الموعد "الآخرة"

تفاصيل الغزوة	خرج إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله، فأقام عليه ثماني ليالٍ ينتظر أبا سفيان وخرج أبو سفيان في أهل مكة، حتى نزل مجنَّة من ناحية الظهران وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جَدْب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس.
عدد المشركين	ألفان ومعهم خمسون فرس.
عدد المسلمين	خرج النبي ومعه الف وخمسمائة صحابي، ومعهم عشرة أفراس وأخذوا معهم تجاراتهم.
ولواء المسلمين	كان أبيضًا يحمله علي بن أبي طالب.
ثمرات الغزوة	لما ألقى الله الرعب في قلوب المشركين وعادوا، كان مع المسلمين تجارة وأموال، فباعوا ما معهم من البضائع وربحوا ربحًا وفيرًا، ورجعوا سالمين غانمين.

تفاصيل غزوة الأحزاب "الخندق"

سبب الغزوة	لما علمت قريش أنها لن تستطيع محاربة المسلمين وحدها، وكذلك أيقنت يهود بذلك، وأن قوتهم لا تُحاكي قوة المسلمين، اتفقوا على جمع المجموع لمحاربة المسلمين وغزوهم في عقر دارهم في محاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين. وقيل أن الذي بدأ بذلك وجمع الجموع هم اليهود حيث خرج وفد منهم إلى مكة فيهم سلام بن أبي الحُقيق النضري وحيي بن أخطب النضري، فدعوا قريشًا إلى حرب المسلمين ووعدوهم أن يقاتلوا معهم، ثم خرجوا من مكة إلى نجد حيث حالفوا قبيلة غطفان الكبيرة على حرب المسلمين، فكان تحالف الأحزاب بجهود من يهود بني النضير
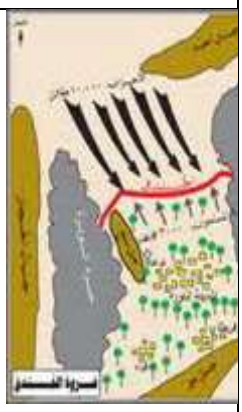	فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري، وبني مُرَّة وقائدها الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرِّيُّ، وخرجت أشجع وقائدها مُسْعر بن رُخيلة. فلما سمع بهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وما أجمعوا له من الأمر أشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق فضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ترغيبًا للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعمل وهو يقول، تسلية لهم ليُهون عليهم ما هم فيه من شدة وبلاء وجوع: "اللهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةْ، فاغْفِرْ لِلْأَنْصارِ والْمُهاجِرَةْ"، فيقولون مُجِيبِينَ لَهُ: نَحْنُ الَّذِينَ بايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الْجِهادِ ما بَقِينَا أَبَدَا ويَقُولُ أيضًا – صلى الله عليه وسلم –:

اللهُمَّ لَوْلا أَنْتَ ما اهْتَدَيْنا ... وَلا تَصدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا ... وَثَبِّتْ الْأَقْدامَ إِنْ لاقَيْنا إِنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنا ... وَإِنْ أَرادُوا فِتْنَةً أَبَيْنا ثُمَّ يرفع صَوْتَهُ ويقول: أبينا أبينا ويمد صوته بِآخِرِهَا فجعلوا على هذا حتى فرغوا من حفر الخندق قبل وصول المشركين	
ثم ظهرت فلول المشركين، الذين تحزَّبوا لمحاربة الله ورسوله، والصدِّ عن سبيل الله فالتفوا حول المدينة وحاصروها من كل مكان فلما رأت يهود بني قريظة ذلك، تيقنوا أن المسلمين -بأي حالٍ- لن يفلتوا من هذه القوة الهائلة وأنهم سيُقضى عليهم لا محالة، فنقضوا العهد، وأصبحوا على استعداد لمعاونة الأحزاب على المسلمين ووصل الخبر للنبي -صلى الله عليه وسلم- وشاع بين صفوف المسلمين، فاشتد الخطب عليهم. وكانت ديار بني قريظة في العوالي في الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور، فكان موقعهم يمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف وفي ذلك يقول الله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ} أي: الأحزاب، {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أي: بنو قريظة، {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} من شدة الخوف والفزع، {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: ١٠] الظنون السيئة، والخوف من المشركين، وأن الله لن ينصر دينه، {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)} [الأحزاب: ١١] بالخوف والجوع والقلق الذي عاشوه، فكان هذا ابتلاء واختبار للمسلمين، ليتبين الخبيث من الطيب. وحدث ما أراده الله -عز وجل-. فأما المؤمنون فسُرعان ما تنبهوا وظهر إيمانهم وثقتهم بالله -عز وجل-، وقالوا: {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} من الابتلاء والامتحان الذي يعقبه النصر، {وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢]. وأما المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فقالوا: {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: ١٢].	

	وقالوا: {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا}، واستأذنوا النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالوا: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} ففضحهم الله –عز وجل–، وقال: {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} [الأحزاب: ١٣]. ثم أرسل النبي –صلى الله عليه وسلم– الزبير بن العوام – رضي الله عنه – إلى بني قريظة ليتأكد من صحة هذا الخبر فذهب الزبير فوجدهم قد نقضوا العهد عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قَالَ: قال رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ الْأَحْزابِ: "مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ "، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: "مَنْ يَأتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ "، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: "لِكُلِّ نَبِي حَوارِيُّ، وإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ
من معجزات النبي في الغزوة	لبثوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يذوقون ذواقًا، حتى إن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يربط على بطنه حجرًا من شدة الجوع يقول جابر – رضي الله عنه –: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – خَمَصًا شَدِيدًا ، فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَئيءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرابًا فِيهِ صاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ فَذَبَحْتُها، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَراغِي، وَقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فَقالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنا وَطَحَنَّا صاعًا مِنْ شَعِيرٍ كانَ عِنْدَنا، فَتَعالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصاحَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – فَقالَ: "يا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جابِرًا سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِهَلّكُمْ "، فَقالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم، وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُم حَتَّى أَجِيءَ"، فَجِئْتُ وَجاءَ رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم – يَقْدُمُ النّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقالَتْ: بِكَ وَبِكَ، قَدْ فَعَلْتُ الَّذي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وَبارَكَ، ثُمَّ قالَ: ادْعُ خابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوها، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا وإِنَّ بُرْمَتَنا. لَتَغِطُّ كَما هِيَ وإِنَّ عَجِينَنا لَيُخْبَزُ كَما هُوَ
	أما المشركون فقد فُجئوا بالخندق أمامهم، فوقفوا حيارى، لا يستطيعون اقتحامه

ولكنهم حاولوا اقتحامه، فكانوا كلما حاولوا ذلك أمطرهم المسلمون بوابل من السهام فردوهم ولم تنقطع هجمات المشركين على الخندق في محاولات شرسة لاقتحامه، حتى إن النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه لم يتمكنوا من أداء صلاة العصر في أحد الأيام حتى غربت الشمس، من شدة انشغالهم في صدِّ المشركين عن الخندق .فقام النبي –صلى الله عليه وسلم– بالدعاء على المشركين عَنْ عَلِيّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – قالَ: لَمّا كانَ يَوْمُ الْأَحزابِ، قالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "مَلَأَ الله بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نارًا، شَغَلُونا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غابَتْ الشَّمْسُ .ثم استمر النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعائه على المشركين والأحزاب عن عبد الله بن أبي أَوْفَى – رضي الله عنهما – قال: دَعا رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ الْأَحْزابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقالَ: "اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ، سَرِيعَ الْحِسابِ، اللهمَّ اهْزِمْ الْأَحْزابَ، اللهمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"	
فاستجاب الله –عز وجل– دعاء نبيه – صلى الله عليه وسلم – عليهم، فأرسل عليهم ريحًا شديدًا فخلعت خيامهم، وأكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وأرسل الملائكة فزلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف. وفي ذلك يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)} [الأحزاب: ٩]. فلم تتحمل الأحزاب جنود الله –عز وجل–، ولم يستطيعوا مواجهتها، فأسرعوا بالتجهز للرحيل قال تعالى{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)} [الأحزاب: ٢٥]. .–وانفك الحصار الذي دام أربعًا وعشرين ليلة، بفضلٍ من الله–عز وجل ولذا كانَ النبي –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: "لا إِلَهَ إِلّا الله وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ، فَلا شَيءَ بَعْدَهُ".	

دروس ... وعبر من غزوة الأحزاب

أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنزل الشورى منزلتها ورسخها في حياة الأمة، إذ الحاجة إليها في الشدائد والقرارات المصيرية على غاية من الأهمية، فالشورى استفادة من كل الخبرات والتجارب، واجتماع للعقول في عقل، وبناء يساهم الجميع في إقامته

وطفق الناس يهتفون بسلمان، افتخارنًا به، وسرورًا بفكرته، فقال المهاجرون : سَلْمَانُ مِنّا ؛ وَقَالَتْ الأَنْصَارُ : سَلْمَانُ مِنّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ — صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ.

وانظر .. كيف تهيج العقول وتستوي على سوقها، فتَنتج وتبدع في جو الشورى، وبيئةِ الحوار بين الراعي والرعية، وتُربةِ التفاهم بين القائد وجنده

لقد أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الغزوة ـ وغيرها من الغزوات ـ القدوة العملية في مشاركته لأصحابه التعب والعمل، والآلام والآمال.. فقد تولى المسلمون وعلى رأسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، المهمة الشاقة في حفر الخندق.. ورغم طوله الذي بلغ خمسة آلاف ذراع، بعرض تسعة أذرع، وعمق يقرب من عشرة أذرع، فقد تم إنجازه في سرعة مذهلة، لم تتجاوز ستة أيام، وكان لمشاركة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفعلية، أثر كبير في الروح العالية التي سيطرت على المسلمين في موقع العمل

ففيها تعليم للقادة ألا يتميزوا عن جنودهم، وأن يعطوهم القدوة بفعلهم، قال الله تعالي: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } (الأحزاب:٢١) ..

الكفر كله ملة واحدة، والخيانة والغدر من طبع وخلق اليهود

فاليهود وضعوا أيديهم في يد المشركين رغم اختلاف عقائدهم ومناهجهم، ووافق المشركون على هذا التحالف، وليس أدل على ذلك من اتحاد اليهود والنصارى في حرب المسلمين مع شدة كراهية اليهود

للنصارى، وشدة كراهية النصارى لليهود، قال الله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } (البقرة: من الآية١١٣)، ومع ذلك فعند حرب الإسلام تذوب هذه الفوارق والعداوات، وتبقى الرغبة المشتركة في محاولة هدم الإسلام والقضاء على أهله، قال الله تعالى: { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } (البقرة: من الآية١٢٠)، وقال: { وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } (البقرة: من الآية٢١٧)

التفاؤل والأمل، فبالرغم من كل تلك الظروف العصيبة الشديدة التي أحاطت بالمسلمين، لم ييأس المسلمون، ولم يفقدوا ثقتهم بوعد الله ونصره، بل ازدادوا إيمانا ويقينا، قال الله تعالى: { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً } (الأحزاب:٢٢)

حرص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الغزوة وغيرها من غزوات، على أن يؤكد لصحابته وللمسلمين من بعدهم، أن النصر من عند الله وحده،

فإذا أراد الله نصر المؤمنين، فلا ضرر عليهم إذا خذلتهم الدنيا بأسرها، أو تحالف عليهم الكفر وأهله، قال الله تعالى: { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (آل عمران:١٦٠)

أهمية الدعاء، فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثير التضرع والدعاء، دعا رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم) (البخاري) كانت غزوة الأحزاب غزوة فاصلة في حياة الأمة الإسلامية، حتى قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدها : (الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم) (البخاري)، .فتحولت سياسة الدولة الإسلامية من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم

فالدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة يعوضها ويَفضل عليها التضرع إلي الله، والتوكل علي الله، قال الله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } (غافر: من الآية٦٠)، وقال: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } (الطلاق: من الآية٣).. وهذا لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب البشرية للنصر،